الدرس الخامس عشر

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[[فصل: في استحباب التزود من الطاعات]

ويستحب للحجاج أن يلازموا ذكر الله وطاعته، والعمل لصالح مدة إقامتهم بمكة، ويكثروا من الصلاة والطواف بالبيت؛ لأن الحسنات في الحرم مضاعفة والسيئات فيه عظيمة شديدة، كما يستحب لهم الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد الله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه، اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، وزدنا علمًا، وأصلح لنا إلهنا شأننا كله، ولا تكلنا إلى أنفسنا طرفة عين، أما بعد:

هذا فصل عقده رحمه الله تعالى في خاتمة الأعمال، أعمال الحج، وقبل ذكر طواف الوداع، عقده رحمه الله تعالى في حث الحجاج على اغتنام أوقات حجهم بالإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، فإن مقصود الحج والغاية من إقامته، الإكثار من ذكر الله سبحانه وتعالى، ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ﴾ [الحج:٢٧-٢٨]، وكلما كان الحاج أعظم نصيبًا من ذكر الله سبحانه وتعالى، كان ذلك أكمل في حجِّه، وأعظم في ثوابه، فإن أعظم الناس أجرًا في كل طاعة، أكثرهم ذكرًا لله فيها، وقد جاء في حديثٍ حسن، أن نبينا عليه الصلاة والسلام سُئل صلى الله عليه وسلم: أي الحجاج أعظم أجرًا؟ قال: «أكثرهم لله ذكرًا»، ولهذا ينبغي أن يعتني الحاج في حجه بالإكثار من ذكر الله، يُكثر من التلبية، ويُكثر من الكلمات الأربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، يُكثر من ذكر الله سبحانه وتعالى، يعتني عنايةً تامة بأذكار الصباح وأذكار المساء، وأذكار النوم، وأذكار الدخول والخروج، والركوب إلى غير ذلك، يعتني بها عنايةً عظيمة، حتى يكون في حجِّه من الذاكرين الله كثيرًا، يحرص أن يكون في حجه من الذاكرين الله كثيرًا، ويحرص على الأعمال الصالحة، وعلى بذل الخير، وعلى الإحسان، وعلى معاملة الناس بالخلق الجميل الحسن، وعلى الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، معلم الناس

الخير، والهادي إلى صراط المستقيم، فإنه حقه على أمته عظيم، قد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦]، وقال عليه الصلاة والسلام كما في الصحيح: «من صلى علي صلاةً، صلى الله عليه بها عشرًا».

ومما ينبغي أن يعتني به الحاج، القراءة في مسائل العلم، ولا سيما مسائل الحج، يتفقَّه في أعمال الحج، كل يوم يتفقَّه في العمل الذي يستقبله في ذلك اليوم من أعمال حجه، حتى يقع الحاج موافقًا للهدي، هدي النبي صلى الله عليه وسلم، وفي ضوء سنته عليه الصلاة والسلام.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[فإذا أراد الحجاج الخروج من مكة وجب عليهم أن يطوفوا بالبيت، طواف الوداع ليكون آخر عهدهم بالبيت، إلا الحائض والنفساء فلا وداع عليهما، لحديث ابن عباس قال: "أمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن المرأة الحائض" متفق على صحته].

قَالَ الشَّارِحُ وَفَّقَهُ اللهُ:

قال رحمه الله: فإذا أراد الحجاج الخروج من مكة، وجب عليهم أن يطوفوا بالبيت طواف الوداع، ليكون آخر عهدهم بالبيت، وهذا آخر أعمال الحج، طواف سبعة أشواط ببيت الله العتيق، ويُسمى هذا الطواف طواف الوداع؛ لأنه يودع الحج، ويودع مكة، ويودع هذه الأعمال بسبعة أشواطٍ يطوفها ببيت الله العتيق، ويُسمى هذا الطواف طواف الوداع، وهو من واجبات الحج، واجبات الحج سبعة، آخرها طواف الوداع، ولهذا في الحديث الذي أشار إليه المصنف رحمه الله، قال: "أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت"، أُمر، والأصل في الأمر الوجوب، أُمر الناس أن يكون آخر عهدهم بالبيت إلا أنه خفف عن الحائض، والتخفيف والرخصة إنما هي من واجب، التخفيف والرخصة لا تكون في المستحب، وإنما تكون في الواجب، فالطواف بالبيت، الذي هو طواف الوداع في آخر أعمال الحج يُعد من واجبات الحج، ولهذا من ذهب وخرج من مكة بعد أن أكمل حجه دون أن يطوف طواف الوداع، عليه أن يستغفر الله ويتوب إليه؛ لأنه ترك و اجبً من واجبات حجه، وأيضًا عليه أن يجبر هذا النقص الذي حصل لحجِّه، قال ابن عباس رضي الله عنه: "من نسي نُسِكًا أو تركه، فعليه دم"، يعني شاةً يذبحها لفقراء الحرم جبرًا للنقص، وهذا الدم يُسمى دم جبران؛ لأنه يجبر النقص الذي حصل، الحاصل أن هذا الطواف من واجبات الحج، ورُخص للحائض ومثلها النفساء، رُخّص لها في تركه، إن أتاها الحيض وقد أكملت أعمال حجها، وما بقي عليها إلا الوداع، فإن لها أن تنفر، ويسقط عنها طواف الوداع.

قَالَ المُصَنِّفُ رَحِمَهُ اللهُ:

[فإذا فرغ من توديع البيت وأراد الخروج من المسجد، مضى على وجهه حتى يخرج، ولا ينبغي له أن يمشي القهقرى؛ لأن ذلك لم ينقل عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولا عن أصحابه، بل هو من

البدع المحدثة، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»، وقال صلى الله عليه وسلم: «إياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة».

نسأل الله الثبات على دينه والسلامة مما خالفه إنه جواد كريم].

قَالَ الشَّارِحُ وفَّقَهُ اللهُ:

ثم ختم رحمه الله تعالى بهذا التنبيه، من أمرٍ قد يفعله بعض الجهال، أو بعض العوام، بعد أن يطوف الوداع ويريد أن يخرج، يمشي على الوراء القهقرى، بزعمه أنه بهذه الطريقة يريد أن يعظم بيت الله، ولا يعطي البيت ظهره وهو يخرج، لكن عبادة الله والتقرب إليه، لا تكون بأشياء يخترعها الناس، ويُحدثونها من قِبَل أنفسهم، وإنما عبادة الله تكون في ضوء ما فعل الرسول عليه الصلاة والسلام، ولم يُنقل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما طاف الوداع، أو غيره من الأطوفة، أنه خرج على هذه الطريقة، ولم يُنقل أن الصحابة فعلوا ذلك، وبهذا يُعلم أن هذه الطريقة من البدع المحدثة، ومن التقرب إلى الله عز وجل بما لم يشرع، ومن تقرب إلى الله بعملٍ لم يشرعه الله، لا يقبله الله منه، بل يرده عليه كما قال عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد»، أي: مردودٌ على صاحبه، غير مقبولٌ منه، وقد أخبر عليه الصلاة والسلام أن البدع المحدثة في دين الله كلها ضلالة، قال: إياكم ومُحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة، ولهذا ينبغي على الحاج الموفق أن يحرص في حجه، فيو عموم طاعاته، في صلاته في صيامه، في جمع طاعاته، يحرص على أن تكون أعماله وفق سنة النبي عليه الصلاة والسلام، في الحج قال عليه الصلاة والسلام: «لتأخذوا عني مناسككم»، وفي الصلاة قال: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، وفي عموم الطاعات، قال: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا، فهو رد»، أي: مردودٌ على صاحبه وغير مقبولٌ منه، وبهذا يكون أنهى رحمه الله تعالى ما قصد بيانه من المسائل والأحكام والآداب المتعلقة بحج بيت الله الحرام.

ثم عقد رحمه الله تعالى فصلًا في أحكام الزيارة، زيارة مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفضل المسجد النبوي، وذكر أيضًا الأحكام والآداب التي تتعلق بهذه الزيارة، وهذا نؤجله إلى لقائنا في الغد بإذن الله سبحانه وتعالى، لكن بمناسبة الختم لأعمال الحج، والشرح العظيم الذي بيّنه الشيخ رحمه الله تعالى لأحكام الحج، وسننه وآدابه، لعل أقف وقفة فيها نفعٌ لنا أجمعين بإذن الله سبحانه وتعالى في

ذكر مقاصد الحج، فإن الله سبحانه وتعالى شرع حج بيته الحرام لمقاصد عظيمة، وغاياتٍ جليلة، وإذا وفق الله سبحانه وتعالى الحاج لمعرفة مقاصد الحج، واستحضرها في حجه، وعمل على تكميل هذه المقاصد وتتميمها، كان ذلك بإذن الله تبارك وتعالى معونةً له على كمال حجه، وتمام نسكه، ومعونةً له لتحقيق قول الله عز وجل: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٩٦]، فإن تمام الحج وكماله مربوطٌ بمعرفة الحاج بمقاصد الحج، والعمل على تحقيقها وتكميلها وتتميمها، والحج له مقاصد كثيرة، تُعلم من خلال قراءة آيات الحج في سورة البقرة، ومن خلال قراءة آيات الحج في سورة الحج، ومن خلال أيضًا قراءة الأحاديث المأثورة عن نبينا صلوات الله وسلامه وبركاته عليه، والحج شُرِع لمقاصد عديدة عظمية جليلة للغاية، من هذه المقاصد:

أولًا: تحقيق التوحيد، وهو الغاية التي خلقنا الله سبحانه وتعالى لأجلها، وأوجدنا لتحقيقها، قال الله سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، ولأجل هذه الغاية أرسل الله رسله، وأنزل كتبه، ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل:٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة:٥]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

والحج من مقاصده، بل أجل مقاصده **تحقيق توحيد الله**، ولهذا نبينا عليه الصلاة والسلام لما وصل إلى الميقات، وأهَلّ بالنُسِك، قال جابر رضي الله عنه: أهَلّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوحيد: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، ولهذا يُشرع للحاج أن يُكثر من هذه الكلمة، لا أقول عشرات المرات، بل مئات المرات، بدءًا من انطلاقته من الميقات، وفي تنقلاته بين المشاعر، ولا تتوقف التلبية إلا عند الجمرات، إذا بدأ يرمي الجمرات عندئذٍ تنقطع التلبية، ويتوقف عن التلبية، في هذه الفترة ما بين رمي الجمار، والانطلاق من الميقات، يُشرع للحاج أن يُكثر من التلبية ما استطاع، وأن يرفع أيضًا بها صوته، «لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك»، وكلمات التلبية كلمات توحيدٌ وإخلاصٌ لله، كان المشركون يحجون البيت، ويُلبّون، جاء في صحيح مسلم أن المشركين يقولون في تلبيتهم، والنبي عليه الصلاة والسلام يسمعهم، لما كان في مكة، يقولون: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك، إذا وصلوا إلى هنا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «قد قد»، يعني: يكفي لا تزيدوا على

هذا؛ لأنه يعلم أنهم سيزيدون شركًا، فيقولون: لبيك لا شريك لك إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، هذا الشرك، إلا شريكًا هو لك، تملكه وما ملك، قبل أن يقولوا هذا الكلمة، يقول لهم: « قد قد »، يعني اكتفوا بهذا، لا تزيدوا، الزيادة شرك، فكانوا يُهلّون بالشرك، وأهل الإيمان اتباع الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام، يهلّون بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك، لا شريك لك، ولهذا في هذه الكلمة، كلمات التلبية، فيها التوحيد بنوعيه، العلمي والعملي؛ لأن التوحيد الذي خلقنا لأجله سبحانه وتعالى علم وعمل، الآن اقرأ مثلًا في آخر آية من سورة الطلاق، قال الله تعالى: ﴿اللهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، خلق لتعلموا، مقصود الخلق في هذه الآية بيان أن مقصود الخلق العلم، وفي آية الذاريات: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، في أن المقصود العمل، من مجموع الآيتين، نعلم أن مقصود الخلق العلم والعمل، توحيدٌ علمي، وتوحيدٌ عملي، وكلا التوحيدين في التلبية، العلمي والعملي، أولها عملي وآخرها علمي، فجمعت كلمات التلبية بين نوعي التوحيد، ولهذا ينبغي على الحاج الموفق أن يُكثر من هذه الكلمة، ما استحضار التوحيد الذي دلت عليه.

ثم أعمال الحج كلها تحقيق للتوحيد، الطواف بالبيت، السعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، الوقوف بعرفة، النبي عليه الصلاة والسلام قال: «خير الدعاء دعاء يوم عرفة، وخير ما قلته أنا والنبيون من قلبي: لا إله إلا الله»، هذا التوحيد: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيءٍ قدير.

المقصد الثاني من مقاصد الحج: **الفوز برضا الله**، والفوز بالجنة، والفوز برحمة الله، ومغفرته، غفران الذنوب وحط الخطايا والعتق من النار، ولهذا ينبغي أن يجعل الحاج هذا المقصد نصب عينيه، يحج ليرضى الله عنه، يحج ليغفر الله سبحانه وتعالى ذنبه، يحج لتعتق رقبته من النار، وهذا جاء في أحاديث، مثل قوله عليه الصلاة والسلام: «الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة»، إذًا نحج ونحن نطمع أن يكون حجنا موجبًا لدخولنا الجنة، «من حج ولم يرفث ولم يفسق، رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، يطمع الإنسان أن يحج حجًا تُغفر له فيه ذنوبه كلها، وتحج عنه جميع خطاياه.

قال عليه الصلاة والسلام: «تابعوا بين الحج والعمرة، فإنهما ينفيان الذنوب كما ينفي الكير خبث الحديد والذهب والفضة»، ينفيان الذنوب، ففيه نفي للذنوب، في حديث عمْرو بن العاص في هدايته ودخوله في الدين، قال له النبي عليه الصلاة والسلام: «أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله، وأن الهجرة تهدم ما كان قبله، وأن الحج يهدم ما كان قبله».

المقصد الثالث من مقاصد الحج: **تحقيق تقوى الله سبحانه وتعالى**، وأنت تقرأ آيات الحج في سورة البقرة، تجد أن التقوى تكاد تمر عليك في كل آية من تلك الآيات، يعني الآية الأولى، خُتمت بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [البقرة:١٩٦]، والآية الأخيرة من آيات الحد خُتمت بقوله: ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣]، وفي أثنائها قال الله عز وجل: ﴿ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧]، وقال: ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى وَاتَّقُوا اللهَ﴾ [البقرة:٢٠٣]، أيضًا في آيات الحج في سورة الحج تجد التقوى تتكرر، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]، ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾ [الحج:٣٧].

إذًا ينبغي أن يجعل هذا الأمر الحاج نصب عينيه، ويجعل من مقاصد الحج، أن يحقق تقوى الله؛ لأن الوصية بالتقوى تكررت، تكررت في آيات الحج، والحج المبرور الذي يعمل الحاج على تكميله وتتميمه، هو أكبر معونة للعبد على تحقيق التقوى، وتأمل هذا في قوله: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ ﴾ هذا كله تقوى الآن و﴿لا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧]، وتقوى الله عز وجل هي وصية الله للأولين والآخرين من خلقه، كما قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللهَ﴾ [النساء:١٣١]، وهي وصية الرسول صلى الله عليه وسلم لأمته، وهي وصية السلف الصالح فيما بينهم.

وتقوى الله عملٌ بطاعة الله، على نورٍ من الله، رجاء ثواب الله، وتركٌ لمعصية الله على نورٍ من الله، خيفة عذاب الله، حقيقة التقوى أن تجعل بينك وبين ما تخشاه وقايةً تقيك، الآن إذا خشيت من البرد الشديد اتقيته بلبس الملابس الشتوية، إذا خشيت حر الشمس اتقيته باتخاذ الشمسية ونحو ذلك، إذا

كنت تخاف من النار وعذاب الله، لا بد أن تضع بينك وبين سخط الله وعذابه وقايةً تقيك، هذه التقوى، أن تجعل بينك وبين سخط الله وعقابه والنار وقايةً تقيك، وهذا إنما يكون بفعل الأوامر وترك النواهي، والحج يربي الحاج على تحقيق التقوى وتكميلها.

الرابع من مقاصد الحج: **إقامة ذكر الله سبحانه وتعالى**، والطاعات كلها إنما شُرعت لذلك، في الصلاة قال الله عز وجل: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه:١٤]، وفي الحج قال النبي صلى عليه الصلاة والسلام: «إنما شُرِع الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار لإقامة ذكر الله»، والله جل وعلا يقول: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الأَنْعَامِ﴾ [الحج:٢٧-٢٨].

فمن مقاصد الحج ذكر الله، ولهذا يُوصى الحاج بأن يُكثر في حجه من الذكر لربه سبحانه، وتقدم معنا أن أعظم الناس أجرًا في حجهم، أكثرهم فيه ذكرًا لله سبحانه وتعالى، ولهذا تجد في آيات الحج تتكرر الوصية بذكر الله عز وجل، قال الله عز وجل: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ (١٩٨) ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللهَ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (١٩٩) فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:١٩٨-٢٠٠].

فإذًا هذا مقصد مطلوب في الحج أن يعظم ذكر الحاج فيه لله سبحانه وتعالى، بقلبه ولسانه، وإذا علِمَ الحاج أن هذا مقصد من مقاصد الحج، وأن حجه يكمل وتعظم درجاته فيه، بحسب الذكر لله عز وجل يزداد في حجه من الذكر والإكثار منه.

المقصد الخامس من مقاصد الحج: **تقوية الإيمان؛** لأن الإيمان يزيد وينقص، ويقوى ويضعف، ولزيادته أسباب، ولنقصانه أسباب، ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [التوبة:١٢٤].

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢].

فالإيمان يزيد، ولزيادته أسباب، وينقص ولنقصانه أسباب، جاء في الحديث أن نبينا عليه الصلاة والسلام قال: «إن الإيمان ليخلَق في جوف أحدكم، كما يخلق الثوب، فاسألوا الله أن يجدد الإيمان في قلوبكم»، الحج وأعماله وشعائر ومشاعر الحج، ومناسكه، هذه كلها أعمال تزيد الإيمان، وتقوِّي صلة العبد بالله سبحانه وتعالى.

كم في الحج من الدروس العظيمة؟! وكم فيه من العِبَر؟! وكم فيه من العظات؟! وكم فيه من المواقف والمشاهد المؤثرة التي لها أثرها العميق على القلوب؟!

ولهذا بسبب ما في الحج من أمورٍ لها أثرها على الإيمان قوةً وزيادة، ترى ذلك على كثيرٍ من الحجاج، وترى أثر الحج على كثيرٍ منهم، بسبب ما يوفقهم الله عز وجل إليه من استفادة من عِبَر الحج، في إقبال قلوبهم وشدة رغبها، وإقبالها على الله عز وجل وإنابتها إليه سبحانه، لو تأملت في حال الحجيج أثناء حجهم، كم من دمعةٍ صادقةٍ أريقت في الحج! كم من توبةٍ نصوح قُبلت في الحج! كم من رقبةٍ أعتقت من النار في الحج! كم من عثرةٍ أقيلت في الحج! كم من خطيئةٍ حُطت! كم من دعاءٍ خاشعٍ أُجيب!.

ولهذا الحج من المقاصد المهمة في أن يعمل الحاج من خلال الحج على زيادة إيمانه، وقوة صلته بالله، الحج فرصة عظيمة لتجديد الإيمان، وكم من أُناس كانت حالهم سيئة، وأكرمهم الله عز وجل بالحج، فحسنت حالهم تمامًا بعد حجهم، والعلماء يقولون: من علامة الحج المقبول، أن تكون حال الحاج بعد الحج خيرًا منها قبلة، هذه من علامات الحج المقبول، إن كانت سيئة تكون بعد الحج حسنة، وإن كانت حسنة تكون بعد الحج أحسن.

المقصد السادس من مقاصد الحج: **تعميق الاستجابة والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى، والانقياد لشرعه**، وهذا مقصد من مقاصد الحج، بل الحج يُربي الحاج تربية عجيبة، عظيمة على كمال الاستجابة لله، بدءً من التلبية التي يبدأ بها، لبيك، كل مرة تقول فيها كلمة التلبية، يتكرر على لسانك كلمة لبيك أربع مرات، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، أربع مرات، في كل مرة تقول كلمات التلبية، تكرر لبيك أربع مرات، ولبيك معناها: أنا مستجيب لك يا الله، الله عز وجل قال: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ﴾ [الحج:٢٧]، وأذَّن إبراهيم بالحج، ودعا نبينا عليه الصلاة والسلام إلى الحج، فماذا

قلت أيها الحاج؟ لما دُعيت قلت: لبيك، مع أن لبيك هذه كلّفتك أمور كثيرة، كلّفتك مالًا جمعته وقتًا طويلًا، كلّفك جهدًا في السفر، كلّفك غربةً، كلّفك بعدًا عن الوطن والأهل والأولاد، كلّفك أمور كثيرة جدًا، ومع ذلك لم تُبالِ بهذه التكاليف والمشاق والمصاعب والأتعاب، لم تبالِ بها، قلت: لبيك، مستجيبًا لله عز وجل، فاستفد من هذه التلبية في عموم أحوالك مع الله عز وجل في الطاعات، انظر إلى استجابة في الحج لقوله تعالى: ﴿ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [البقرة:١٩٧]، تتجنب النواهي التي نُهيت عنها في الحج، من أجل أن يكمل حجك، أليس من اللائق بالمسلم أن تكون هذه حاله وهذه دأبه في حياته كلها، دعاه الله إلى الحج فقال: لبيك، وهو يُدعى كل يوم خمس مرات إلى الصلاة، ماذا كان يقول؟ هل يستجيب أو لا يستجيب؟ ينظر إلى نفسه، دعاه إلى الحج قال: لبيك، وفي اليوم يُقال: حي على الصلاة، حي على الفلاح خمس مرات، هل يُجيب أو لا يُجيب، إذا كان لا يُجيب ولو في بعض المرات، يسأل نفسه، يقول لها: أين لبيك؟ الذي كنت ترفع صوتك بها في مكة، وفي فجاجها، وفي تنقلاتك بين المشاعر، تغالط نفسك، لبيك اللهم لبيك، ثم يُقال: حي على الصلاة، والصلاة أعظم من الحج، أعظم فرائض الإسلام بعد التوحيد هي الصلاة، والصلاة عماد الدين، فينظر في استجابته، أعمال الحج كلها تروّض الحاج على الاستجابة، على فعل الأوامر، وعلى ترك النواهي، ولهذا من المقاصد العظيمة التي في الحج تعميق الاستجابة لله والامتثال لأوامره سبحانه وتعالى.

السابع من مقاصد الحج: **شهود منافع الحج العظيمة** التي جعلها الله سبحانه وتعالى في الحج، قال الله عز وجل: ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ (٢٧) لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٧-٢٨]، العلماء يقولون: اللام هنا لام التعليل، والمعنى: أذن فيهم في الحج، من أجل أن يشهدوا منافع للحج، إذًا الحج مليء بالمنافع، مليء بالدروس، مليء بالعِبَر والعظات العظيمة.

الحجاج في تحصيلهم لمنافع الحج، أشبه ما يكون بالأودية، إذا نزل المطر، من الأودية أودية واسعة تحمل ماءً كثيرًا، ومن الأودية أوية صغيرة ما تحمل إلا ماء قليل، ولهذا بعض الحجاج يدخل الحاج ويخرج من حجه بِعبَر كثيرة، ودروس عظيمة جدًا، ومنهم من لا يخرج من حجه إلا بدروس قليلة جدًا، ولهذا ينبغي للحاج أن يجعل هذا من مقاصده في حجه، أن يستفيد من العِبَر الحج، ودروسه

العظيمة، قال: ﴿لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ﴾ [الحج:٢٨]، جاءت هذه اللفظة منكَّرة، قال العلماء: تفخيمًا لهذه المنافع وتكبيرًا لها، وبيانًا لعظِمها، وكثرتها وتعددها.

المقصد الثامن من مقاصد الحج: **التذكير بحال الأنبياء والسير على نهجهم**، لما وقف عليه الصلاة والسلام بعرفات، قال للناس: «إنما أنتم على إرث، من إرث نبي الله إبراهيم عليه السلام»، هذا الوقوف بعرفة إرثٌ من إرث إبراهيم الخليل عليه السلام، رمي الجمار له تعلق بإبراهيم عليه السلام، النحر له تعلق بإبراهيم عليه السلام، أعمال الحج عمومًا، مسجد الخيف، قال عليه الصلاة والسلام: «صلى في مسجد الخيف سبعون نبيًا»، وفي آخر الزمان يقول عليه الصلاة والسلام: «ليهلن عيسى بن مريم حاجًا أو معتمرًا، أو ليثنينهما»، يجمع بين الحج والعمرة، فأنت لما تحج، تستشعر أنك سائر في طريق الرسل، طريق الأنبياء، ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ﴾ [الأنعام:٩٠]، فأنت في هذا الحج سالكٌ مسلك الأنبياء، سائرٌ على نهجهم مترسمٌ لخطاهم.

المقصد التاسع من مقاصد الحج العظيمة: **تعميق الاتباع للرسول عليه الصلاة والسلام**، وهذه مسألة مهمة في حياة المسلم، والحج يعمق هذا الاتباع في نفس المسلم، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «لتأخذوا عني مناسككم»، الآن انظر في الحجاج جميعًا، لا تجد حاجًّا إلا ويسأل، هكذا، ما حكم كذا؟ ماذا أفعل؟ يمشي ويسأل، ويتفقه في دينه، هذا الآن يعمق فيه الاتباع للرسول عليه السلام، تجده يقول: ماذا فعل الرسول في يوم النحر، ماذا فعل الرسول صلى الله عليه وسلم يوم عرفة؟ ماذا فعل الرسول عليه الصلاة والسلام في منى؟ في مزدلفة؟ يسأل، وتكثر أسئلة الحجاج، هذا يعمق فيه الاستجابة للرسول عليه الصلاة والسلام، هذا السؤال الذي يكثر في الحج، ينبغي أن يكثر أيضًا في عموم الطاعات، اسأل عن صلاتك، اسأل عن صيامك، اسأل عن عموم العبادات التي أمرك الله بها، اسأل عن السنة فيها، اسأل عن نهج النبي عليه الصلاة والسلام وطريقته، قال في الحج: «لتأخذوا عني مناسككم»، فأخذت تسأل عن مناسك النبي عليه الصلاة والسلام، حتى يكون حجك موافقًا لحجه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، لماذا لا تسأل عن كيفية صلاة النبي عليه الصلاة والسلام؟ لماذا لا تقرأ في صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم؟ وهكذا في عموم الطاعات، وإذا تأملت قول النبي عليه الصلاة والسلام: «من عمل عملًا ليس عليه أمرنا فهو رد»، تخاف أن تكون مضيت في عمرك على أعمال كثيرة،

ثم في النهاية تُرد عليك، إذًا من الخير لك أن تسأل، أن تسأل عن السنة، عن الهدي، عن طريقة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، عن أعماله، وبهذا نعلم أن الحج يُربينا على الاتباع، ويعمق فينا حسن الاتباع لهدي النبي الكريم عليه الصلاة والسلام.

من مقاصد الحج، وهو العاشر: **مخالفة المشركين** في أعمالهم وضلالتهم، وجاهلياتهم، وأباطيلهم التي لا حد لها ولا عد، ولهذا النبي عليه الصلاة والسلام أبطل في الحج في خطبة يوم عرفة كل ما كان عليه المشركون، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن جاهلية المشركين كلها تحت قدميه، يقول: «تحت قدمي هاتين»، أبطلها كلها، دماء الجاهلية، الربا الذي كان عندهم، إلى غير ذلك من الأعمال، كلها كان يذكرها واحدة واحدة، ويقول: «وهي تحت قدمي هاتين»، أبطلها، تستشعر في حجك عز الإسلام، ورفعة المسلم، وبعده عن الجاهلية بجميع أحوالها وأمورها، كان المشركون يدفعون من عرفة قبل غروب الشمس، خالفهم النبي عليه الصلاة والسلام بقي إلى أن غربت الشمس وبعد الغروب انتظر قليلًا ثم دفع عليه الصلاة والسلام، في مزدلفة كانوا يدفعون بعد طلوع الشمس، ويقولون: أشرق ثبير كيْما نغير، يعني: كي ما ننطلق، فخالفهم عليه الصلاة والسلام، ودفع من مزدلفة قبل طلوع الشمس، بعد أن أسفر وقبل أن تطلع الشمس.

إذًا الحج ينمي فيك حرصك على أن تربى بنفسك، وأن تُبعد بها عن التشبه بالكفار، والتشبه بالمشركين، وأن تحرص على مخالفة المشركين، والحج يُربي على ذلك، كان المشركون يلبون بالشرك، احمد الله عز وجل أن جعلك من أتباع الرسول عليه الصلاة والسلام تُلبي بالتوحيد، لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك لبيك، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك.

المقصد الحادي عشر من مقاصد الحج: **التذكير بالآخرة، والتذكير بالوقوف بين يدي الله سبحانه وتعالى**، أول ما تبدأ بأعمال الحج، تتجرد من لباسك، تتجرد من اللباس، كل أناس في بلدانهم تعودوا على ألبسة يعتبرونها من أجمل اللباس، كلهم يتجردون منها في الميقات، ويلبسون لباسًا واحدًا، إزار ورداء، بعد الاغتسال والتنظف يلبسون الإزار والرداء، هذا الإزار والرداء، هذا يُشبه الكفن الذي يُلف به الميت ويُدرج في قبره، ولهذا يُذكرك هذا، الآن تركت أهلك، وتركت دنياك، وتركت تجارتك، ولففت جسمك بإزار ورداء، ثم تقف في صعيد عرفة، هذا يُذكرك بأرض المحشر، والوقوف بين يدي الله

سبحانه وتعالى، ولهذا الحج فيه مواقف تذكر بالآخرة، مهمة جدًا، وسبحان الله هذه المواقف يجب أن تبقى معك بعد الحج، بماذا خُتمت آيات الحج من سورة البقرة؟

﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣]، انتهيتم من الحج، أديتم أعمال الحج، منكم من تعجل في يومين، ومنكم من تأخر، تذهبون إلى بلدانكم، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه تحشرون، خذوا معكم هذه الوصية إلى بلدانكم ، ﴿ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [البقرة:٢٠٣]، انتهيتم الآن، منكم من تعجل، منكم من تأخر، تذهبون الآن إلى بلدانكم ، اتقوا الله، واعلموا أنكم إليه تحشرون، خذوا هذه معكم إلى بلدانكم تتذكرون دائمًا الحشر، من المهم جدًا في حياتك أن تتذكر الحشر والبعث والحساب، والموت والجنة والنار، لا بد أن تتذكرها، لماذا؟ لأنك إن تذكرتها أعانك هذا التذكر على الاستعداد، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ﴾ [البقرة:١٩٧].

المقصد الثاني عشر من مقاصد الحج العظيمة: **تحقيق الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية**، وهذه تتجلى في الحج وتبرز فيه بأبهى صورها، وأجمل حُللها، فالحجيج كلهم يطوفون طوافًا واحدًا في البيت، وسعيهم بين الصفا والمروة، ثم وقوفوهم أجمعين على صعيد عرفة، جميعهم قبلتهم واحدة، غايتهم واحدة، آلامهم واحدة، همومهم مشتركة، ولهذا ترى في الحج معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات:١٠]، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «وكونوا عباد الله إخوانًا»، فالحج فيه تحقيق لهذه الرابطة، رابطة الإيمان ورابطة الإخوة الدينية، ولهذا الله عز وجل قال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، في حجة الوداع من ضمن خُطب النبي عليه الصلاة والسلام، أكد عليه الصلاة والسلام على هذا المعنى، قال في خطبته، في حجة الوداع: «أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على أعجمي، ولا لأعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوى، أبلغت؟»، قالوا: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، والله جل وعلا قال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣]، ولهذا الحج يقوي هذه الإخوة ويقوي هذه الرابطة، وينظر الإنسان إلى هؤلاء على اختلاف الألوان، اختلاف الأجناس، اختلاف الألسن، الآن يجلس حاج إلى حاج، اللون مختلف،

واللغة مختلفة، ومع ذلك تجدهم يحب كل واحد منهم أن يتحدث مع الآخر، وكثيرًا ما ترى هنا في المسجد النبوي، وفي الحج لغة الإشارة تشتغل كثيرًا بن الحجاج، هذا من الإخوة، من المحبة التي بينهم، يُشير إليه، يعني يتكلم ولا يفهم، ويفهمون بعض بالإشارة، يشيرون بعض هذا كله من معاني إخوة بينهم، وألوان مختلفة، الأجناس مختلفة، اللسان مختلف، ومع ذلك بينهم محبة، وتجده بصدق لما يتحدث معه بالإشارة، تجده يقول له: الله يتقبل حجك، وصادق يريد أن يقبل الله حجه، ويريد أن يرجع هذا الحاج مغفورًا له، أنت الآن لما ترى كبار السن الذين جاؤوا من أنحاء الدنيا، بنية ضعيفة، معه أمراض وأتعاب، تجده يأتي إلى المسجد، إلى المشاعر ببنية ضعيفة، ما جاء يطلب إلا رحمة الله، يطلب جنته، يطلب الخاتمة السعيدة، الموت على رضا الله سبحانه وتعالى، جاء لذلك أنت تشعر به، ولهذا تجد في قلبك محبة لهذا الحاج أن يحقق الله سبحانه وتعالى له ما جاء لأجله، هذه رابطة الإيمان، هذه أخوة الدين، ولهذا تقابله وتبش له، وتدعو له، وتعينه، هذه كلها رابطة، لا بد أن تقوى وضعفها من ضعف إيماننا، قوتها من قوة إيماننا، والحج ينمي هذه الأخوة ويمتنها.

الأمر الثالث عشر من مقاصد الحج: **التربي على الأخلاق الفاضلة والآداب الكاملة**.

المقصد الرابع عشر: **تحقيق الوسطية التي هي زينة الدين وجمال الشريعة**، قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة:١٤٣].

والمقصد الخامس عشر من مقاصد الحج: فيه **تربيه للمسلم على استشعار المنة، منة الله عليه بالهداية**، وهذا تجده في آيات الحج، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ فَاذْكُرُوا اللهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨]، استشعر نعمة الله عليك، وأيضًا آخر آيات الحج في سورة الحج، فيها هذا المعنى، فيها: ﴿لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ﴾ [الحج:٣٧]، فاستشعر هذه المنة، منة الله لك بالهداية، واحمد الله واشكره على فضله ومنة سبحانه وتعالى، ونسأل لنا أجمعين التوفيق والسداد، والمعونة على كل خير، وأن يصلح لنا أجمعين شأننا كله، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيمًا، اللهم اغفر لنا ولوالدينا ووالديهم، وذرياتهم ولمشايخنا، ولولاة أمرنا، وللمسلمين

والمسلمات، الله أصلح لنا أجمعين النية والذرية والعمل، سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، اللهم صلِ وسلم على عبدك ورسولك نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.